



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (اختصار علوم الحديث)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (1)

التاريخ: 17/شوال/1440 هـ

21/حزيران/2019 م

شرح القائد الدّميث إلى كتاب الباعث الحثيث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد؛

فنبداً بحول الله وقوته بشرح كتاب "اختصار علوم الحديث" للحافظ الإمام المفسر عماد الدين أبي الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى المتوفى سنة 774، وهو من علماء القرن الثامن الهجري. وإذا ذكرنا السنين في الشرع؛ فنعتمد التاريخ الإسلامي الذي كان يؤرخ عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ بهجرة النبي ﷺ، ونعتمد الأشهر القمرية التي كان يعتمدها النبي ﷺ.

وليس معنى هذا أن الأشهر الشمسية ملغاة تماماً؛ لا؛ ولكن المسلمين يعتمدون التاريخ الهجري لا الميلادي؛ فإن الميلادي للنصارى، أما الأشهر فقد كانت معروفة عند العرب وغيرهم؛ ونحن لنا السنة الهجرية، فعندما نذكر السنين؛ فإننا نذكر السنة الهجرية ونؤرخ أتباعاً لأصحاب رسول الله ﷺ، هذه قاعدتنا دائماً؛ خصوصاً في علم الحديث؛ إذا ذكرنا مواليذ الرواة ووفياتهم؛ فنعني به التاريخ الهجري. فالحافظ ابن كثير توفي سنة 774 هجري؛ فهو من علماء القرن الثامن .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب في مصطلح الحديث - وكنا قد عرفنا معنى مصطلح الحديث سابقاً -؛ ونعتبر هذا الكتاب الذي معنا هو الكتاب الثاني - كما قرره بعض أهل العلم - في التأصيل في علم المصطلح بعد البيقونية .

وبالعوض يقدّم "نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر، والأمر سهل إن شاء الله ؛ فسواء قدمت "اختصار علوم الحديث" أو "نخبة الفكر"؛ فالأمر ليس فيه بأس ؛ فهي كتب متقاربة ليست بعيدة عن بعضها . وكما كان يقول بعض علماء الحديث: هذا العلم هو علم عملي؛ فلا يحتاج إلى كثرة الدراسة النظرية؛ فلو درست فيه كتابين أو ثلاثة؛ يكفيك إن شاء الله نظرياً، ثم بعد ذلك تأتي الناحية العملية وهي الأهم في هذا العلم، الناحية العملية تعتمد على علم المصطلح وعلم الرجال وعلم العلل؛ فندرس في هذه الفنون الثلاثة بعض الكتب ثم بعد ذلك ننتقل إلى المرحلة العملية؛ وهي الأهم .

في مصطلح الحديث نحن ندرس ثلاثة كتب؛ "البيقونية"، و"اختصار علوم الحديث"، و"نزهة النظر"، ومن أراد الزيادة؛ فيقرأ "تدريب الراوي"⁽¹⁾؛ فقراءته مفيدة ونافعة .

وكذلك ننصحه بقراءة "النكت" على ابن الصلاح للحفاظ ابن حجر؛ فهو كتاب ممتع جداً وإن كان صاحب التدريب قد نقل الكثير منه؛ لكنه مفيد .

هكذا يكون التدرج في دراسة علم المصطلح؛ "البيقونية"، ف"اختصار علوم الحديث"، ف"نزهة النظر"، ثم بعد ذلك يقرأ طالب العلم ما فتح الله عليه؛ خصوصاً "تدريب الراوي"، و"النكت" لابن حجر .

نحن في المرحلة التأصيلية نعتمد "البيقونية" و"مختصر علوم الحديث" و"نزهة النظر" ونعتبرها كافية إن شاء الله لطالب العلم، إذا درس الطالب هذه الكتب الثلاث وأتقنها؛ بعد ذلك بإمكانه أن يقرأ أي كتاب في المصطلح؛ وبإمكانه أن يفهمه بسهولة إن شاء الله؛ لأن مرحلة التأصيل العلمي المراد منها أن تعطي طالب العلم المفتاح كي يستطيع أن يفتح ويدخل إلى بستان العلوم؛ بستان الكتب؛ فيقرأ وينهل من علم أهل العلم ويفهم بنفسه .

علوم الآلة هذه تمكنك من فهم الكتب بنفسك⁽²⁾، فليست وظيفة الشيخ أن يدرّسك جميع الكتب في الفن؛ لا؛ بل يدرّسك مثلاً في المصطلح بعض الكتب التي تستغني بها عن كتب أخرى؛ بحيث تستطيع بعد ذلك أن تفهم كتب المصطلح لوحدها .

في النحو مثلاً؛ إذا درست كتابين أو ثلاثة عند الشيخ بعد ذلك تستطيع أن تقرأ وحدك؛ فلا تحتاج إلى الشيخ .

وليس معنى التأصيل العلمي أن تدرس على الشيخ ثم بعد ذلك تقول: أنا أنهيت هذا العلم؛ لا؛ فأنت أخذت المفتاح، ثم بعد ذلك تحتاج أن تفتح الباب وتدخل وتهل من هذا الخير، وتقرأ من الكتب النافعة في الفن .

ندرّسك مثلاً في علم العقيدة؛ مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة؛ تدرس مثلاً "لمعة الاعتقاد"⁽³⁾،

1- "تدريب الراوي" للسيوطي

2- علوم الآلة هي: اللغة والمصطلح وأصول الفقه

3- لابن قدامة المقدسي (ت 620)

"القواعد المثلى"⁽¹⁾، "الواسطية"⁽²⁾، "الطحاوية"⁽³⁾، ليس معنى هذا أنك اكتفيت بهذا؛ لا؛ بل لابد لطالب العلم أن يطلع على كتب السلف في العقائد؛ خصوصاً كتاب "الشرعية للأجري"، "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي، "السنة" للخلال، "السنة" لعبدالله بن الإمام أحمد؛ هذه الكتب لابد لطالب العلم أن يطلع عليها وأن يمر عليها؛ لابد له من ذلك، هذا الأمر ينبغي أن يكون مفهوماً عند طلبة العلم .

هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن هو المرحلة الثانية من دراسة مصطلح الحديث خاصة، وهو "اختصار علوم الحديث" للحافظ ابن كثير مؤلف كتاب التفسير المشهور عندكم .

اختلاف العلماء في اسم مختصر علوم الحديث

اختلف العلماء في اسم هذا الكتاب؛ هل هو اختصار علوم الحديث، أم اسمه الباعث الحثيث؟ قال بعض العلماء: هو اختصار علوم الحديث؛ وليس له اسم غير هذا، وتسمية الباعث الحثيث ليست من ابن كثير؛ بل من تسمية أحد المحققين. وقال البعض الآخر: لا؛ هذا الاسم قد وضعه ابن كثير. والله أعلم بالصواب. وعلى كل حال؛ فالقضية قضية تسمية؛ فالأمر فيها سهل إن شاء الله.

لماذا سُمِّيَ هذا الكتابُ اختصار علوم الحديث؟

لأنه اختصار لكتاب أكبر منه؛ وهو كتاب "علوم الحديث" لابن الصلاح (ت 643) أو "مقدمة ابن الصلاح"؛ هو نفسه، وقد سماه ابن الصلاح "علوم الحديث".

1- لابن عثيمين (ت 1421)

2- لابن تيمية (ت 728)

3- للطحاوي (ت 321)

أول أمر علم المصطلح:

علم المصطلح في بداية أمره لم يكن مُصَنَّفًا على النحو الذي بين أيدينا اليوم؛ فعندنا اليوم مجموعة من الكتب المصنفة فيه يَسَّرَت هذا العلم، لكن قبل ذلك لم تكن هذه الكتب موجودة على عهد النبي ﷺ وما بعده.

ففي بداية الأمر كان الصحابة يسمعون أحاديث النبي ﷺ منه؛ وكانت عندهم حافظة قوية، وهم عدول ثقات، ولا يوجد عندهم تلاعب ولا كذب، ولا يوجد بينهم شيء من هذه الأشياء - الحمد لله -، وكانوا يسمعون من النبي ﷺ وينقلون عنه الرواية ويتورعون فيها وليس بينهم كذاب، فكانت الأمور تمشي بشكل سليم والحمد لله.

ثم بعد ذلك في آخر عهد الصحابة وفي أول عهد التابعين؛ بدأ يظهر الكذب على النبي ﷺ، ويظهر الخلل في رواية بعض الرواة عن النبي ﷺ؛ لذلك يقول محمد بن سيرين: (كنا لا نسأل عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة؛ قلنا: سموا لنا رجالكم) ⁽¹⁾.

فصاروا يفتشون وينقبون عن الرجال؛ حتى يعلموا من الذي يأخذون عنه ومن الذي يتركون حديثه. فبدأت القواعد تظهر عندئذ؛ وضعها العلماء من أدلة الكتاب والسنة ومن معرفتهم بأحوال الرجال؛ لكنها لم تصنّف في كتاب.

كتب بعض العلماء بعض الفقرات في مصطلح الحديث كالإمام مسلم في مقدمة كتابه، ولم يُفرد كتاباً خاصاً لمصطلح الحديث، إلى أن جاء المحدث الراحل المرحوم؛ وهو من علماء القرن الرابع؛ فألف كتابه "المحدث الفاصل" في علم مصطلح الحديث.

وهذا العلم؛ يسمى مصطلح الحديث، ويسمى أصول الحديث، ويسمى علم الحديث. ثم بعد ذلك تتابعت المصنفات فيه؛ ومن أشهرها كتب الخطيب البغدادي؛ فقد ألف كتاباً كثيرة.

ثم جمع الحافظ ابن الصلاح⁽¹⁾ فوائد كتب الخطيب البغدادي⁽²⁾ في كتابه وسماه: "معرفة أنواع علوم الحديث"، أو "علوم الحديث" كما هو مشهور عند بعض أهل العلم.

جمع ابن الصلاح الخلاصة والفوائد المهمة من كتب الخطيب البغدادي في كتابه هذا، فكان لهذا الكتاب شأن عند علماء الحديث .

ثم أخذ الحافظ ابن كثير هذا الكتاب واختصره .

اعتنى العلماء بكتاب علوم الحديث، فشرحه الكثير، ونظمه البعض، وعلق عليه البعض، واختصره البعض، ومن اختصره: الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه هذا الذي بين أيدينا، وسُمِّي "اختصار علوم الحديث"، فهذا الاختصار الذي بين أيدينا؛ هو اختصار لكتاب ابن الصلاح "علوم الحديث". ومعنى الاختصار ؛ أن يقلل العبارات ويحذف منه بعض الأمور بحيث لا يخلُّ بأصل مادة الكتاب. لكن بعض المختصرين لا يكتفي بهذا؛ بل يعدِّل ويضيف أشياء وفوائد ؛ وهذا ما فعله مؤلفنا ابن كثير رحمه الله؛ فلم يقتصر على الاختصار؛ بل انتقد وصوّب وغلّط وزاد فوائد من عنده رحمه الله. وقد كان لهذا الكتاب قبول عظيم عند أهل العلم.

ونحن نحرص في تأصيلنا وفي تدريسنا على الكتب التي تتصف بهذا الوصف ؛ أي أن العلماء قد قبلوها وقرروها وشرحوها واعتنوا بها اعتناء فائقاً خاصاً، فتركز عليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وهذا الكتاب مما يتصف بهذه الصفة، فلما ألفه مؤلفه؛ اعتنى به العلماء اعتناء فائقاً، وحثَّ بعض العلماء على دراسته .

وكان هذا الكتاب مقررّاً عندنا في دماج ؛ كان شيخنا الوادعي رحمه الله يحثُّنا عليه ، وكان يُدرِّس في دماج بكثرة ؛ هو و"النزهة" و"البيقونية"، وكان شيخنا يحثُّ على "تدريب الراوي" ويدرسه أحياناً، ولكن كما ذكرت لكم؛ فإن "تدريب الراوي" يأتي كمرحلة متقدمة لمن أراد أن يزيد أو أن يقرأ وحده .

واعتنى بتحقيق هذا الكتاب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله؛ وهو من المحدثين المتأخرين المعروفين باعتنائهم بهذا الفن، وقد طُبِع الكتاب عدة طبعات، فهناك طبعة جيدة مطبوعة في اليمن، وطبعة قديمة أيضاً مطبوعة في مصر جيدة كذلك ؛ لكن الطبعة المطبوعة في اليمن جيدة جداً إن شاء الله

¹ - وهو من علماء القرن السابع، توفي سنة (643)

² من علماء القرن الخامس، توفي سنة (463)

المقدمة

قال أحد تلاميذ المؤلف - رحمه الله :-

(**بسم الله الرحمن الرحيم، قال شيخنا الإمام**)

الشيخُ في اللغة؛ هو الكبير؛ إما أن يكون كبيراً في السن، أو كبيراً في العلم، أو أن يكون قد جمع الكبير في أكثر من شيء.

هنا الشيخ تطلق من أجل الاحترام والتقدير والتعظيم، فكلمة شيخنا صارت كلمة اصطلاحية يراد بها الكبير في العلم إذا أُطلقت في ميداننا نحن؛ ميدان طلبة العلم وأهل العلم، فتقال للكبير في العلم، الكبير في الشأن.

وشيخنا؛ تعني عندنا معلمنا.

والإمام: هو الذي يُقتدى به، إذا كان له أتباع يقتدون به؛ يُسمى إماماً، وربما كان الإمام إماماً في الخير، وربما يكون إماماً في الشر أيضاً.

(**العلامة**)

العلامة صيغةٌ مبالغةٌ للعلم في لغة العرب؛ فهو كثير العلم.

(**مفتي الإسلام**)

أي : في زمنه

المفتي: هو الذي يتصدر للفتوى بين الناس، ومفتي الإسلام الذي يتصدر للفتوى ويفتي الناس مطلقاً في دين الإسلام هو النبي ﷺ ، لكن هنا يُقَيَّد بأهل زمنه ؛أي: مفتي الإسلام في زمنه .

(**قدوة العلماء**)

الذي يقتدي به علماء زمنه، أو بعض العلماء ؛ هكذا ينبغي أن يكون؛ لأن قدوة العلماء مطلقاً بلا

تقييد، هو النبي ﷺ ، فهو الذي يتَّبَعُه العلماء في كل شيء ويقتدون به، أما هذا العالم فهو قدوة لطلبته؛ ينظرون إلى أفعاله التي توافق السنة ويتبعونه عليها ويتعلمون منه السنة؛ فلا بأس أن يُقال هذا .

(**شيخ المحدثين**)

يعني كبيرهم؛ أي: في زمنه .

(الحافظ المفسر)

الحافظ من جمع بين العلم بالحديث وحفظه .

المفسر: العالم بالتفسير، والحافظ ابن كثير له كتاب في تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بآثار الصحابة رضي الله عنهم؛ وكتابه نفيس، وقد اختصره الشيخ أحمد شاكر اختصاراً مائعاً نافعاً في كتابه "عمدة التفسير"، وهو من الكتب النافعة جداً، وهو أفضل ما ننصح به من كتب التفسير؛ فيكثر طالب العلم القراءة والنظر فيه .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ)

بقية السلف؛ يعني الباقي من هو على طريقة السلف رضي الله عنهم، هذا معنى بقية السلف الصالحين؛ فهو سائر على طريقهم وكأنه واحد منهم .

(عِمَادُ الدِّينِ)

هذا لقب ابن كثير.

واللقب: هو ما أشعر بمدح أو ذم، كعِمَادُ الدِّينِ؛ فإنه يُشعر بمدح، وأبي بكر الصديق؛ فالصديق لقب يُشعر بالمدح، و كعمر الفاروق؛ فالفاروق لقب يُشعر بالمدح؛ وهكذا .
فإذا أشعر الوصف بمدح أو ذم؛ صار لقباً للشخص .

(أَبُو الْفِدَاءِ)

هذه كنية، والكنية: ما بُدء بأب أو أم؛ أبو فلان أو أم فلان .

(إِسْمَاعِيلُ)

هذا اسمه: إسماعيل (بن كثير)

(القرشي)

نسبة إلى قريش؛ فهو من قريش، وقريش القبيلة التي كانت تسكن مكة في عهد النبي ﷺ وقبله.

(الشافعي)

مذهباً؛ فابن كثير رحمه الله على المذهب الشافعي .

واتِّباع المذهب منه ما هو مذموم ومنه ما لا بأس به ؛

فالمذموم: أن تتعصب للمذهب، حتى لو جاءتك السنة عن النبي ﷺ؛ تركت السنة لأجل المذهب؛

هذا مذموم جداً وصاحبه على خطر؛ فأنت مأمور باتباع النبي ﷺ واتباع منهج الصحابة ولست مأموراً باتباع مذهب الشافعي ولا مذهب أحمد ولا غيره، لا بأس أن تستنير بأقوالهم وتستضيء بها وتستأنس بها؛ لكن ليس معنى ذلك أن تتبع المذهب كاتِّباعك لسنة النبي ﷺ ولمنهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم.

الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم من أئمة الإسلام كالأوزاعي والثوري وغيرهم؛ تستفيد من علومهم وتستفيد من فتاويهم؛ لكن لا تتعصب لأحد؛ هذا التعصب مهلكة ومدممة قديمة وليست من اليوم، وما زال هذا الداء موجوداً في الناس؛ نسأل الله العافية.

الواجب عليك أن لا تتعصب لأحد؛ إلا للحق فقط، فاتباع كتاب الله وسنة النبي ﷺ ومنهج السلف الصالح والنظر إلى الأدلة، الدليل ومنهج السلف هو الفاصل دائماً في كل مسألة. أما الوجه الآخر من المذهبية؛ وهم الذين يتقيدون بأصول المذهب؛ لكن إذا جاء الدليل وخالف المذهب يتبعون الدليل؛ فهذا لا بأس به، ولا يُنكر عليهم؛ لكن طريقة أهل الحديث دائماً هي الأفضل؛ لأنهم لا يعظمون شيئاً بعد النبي ﷺ وأقوال أصحابه رضي الله عنهم.

(إمام أئمة الحديث والتفسير بالشام المحروس)

هكذا مطلقاً لا يكون إلا النبي ﷺ؛ فإنه إمام أئمة الحديث.

لكن لو قُيدَ هذا بأنه إمام أئمة الحديث في زمانه؛ فلا بأس، وقد قُيدَ هنا بالشام؛ فقال: إمام أئمة الحديث والتفسير بالشام المحروس، ويُقيدُ بزمنه.

ففي بلاد الشام من هو أعظم من ابن كثير إمامة؛ كالأوزاعي رحمه الله، وأبي إسحاق الفزاري، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي؛ هؤلاء من أتباع التابعين، ومن التابعين جبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، ومن الصحابة رضي الله عنهم أبو الدرداء وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

وقد كان الأئمة العلماء كثيرون في بلاد الشام، وبعضهم أعظم علماً وقدرًا حتى من ابن كثير؛ لكن لو قُيدَ: في زمنه؛ فلا بأس.

والمحروس؛ يعني التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحرسها وأن يقيها شر الفتن وشر أهل الفساد والمفسدين.

وببلاد الشام معروفة اليوم؛ هي فلسطين والأردن ولبنان وسورية، وليست كل سورية؛ فإن ما بعد

النهر ليس من الشام؛ وأما ما بين النهر والبحر فكله من بلاد الشام؛ كذلك بعض الحدود ما بين سورية وتركيا؛ ما بين النهر والبحر؛ هذه أيضاً داخلة في بلاد الشام، يعني يوجد في تركيا بعض بلاد الشام؛ وهي قليلة، وأما البلاد التي ما بين نهر دجلة والفرات فهذه تسمى قديماً بلاد الجزيرة وليست من بلاد الشام .

(فَسَّحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي أَيَّامِهِ)

لعله يعني بذلك الدعاء؛ أي: يدعو أن يوسع الله سبحانه وتعالى بالخير في وقته.

(وَبَلَّغَهُ فِي الدَّارَيْنِ أَعْلَى قَصْدِهِ وَمَرَامِهِ)

هذا دعاء أيضاً؛ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغ ابن كثير رحمه الله قصده ومرامه. والمرامُ والقصد معناه قُرب، يعني نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينوِّله أعلى ما قصدَ في الدنيا وفي الآخرة.

